الجزء الثامن عشر المجلد الاول

النفائس العصرية

﴿ مجلة فكاهية ادبية ﴾

لمنشئها

خليل بيدس

١ ايار (١٨ نيسان ش) سنة ١٩٠٩

الذاكرة

﴿ ٥ ﴾

ولنقل الان بعض الشيء عن غرابة اعمال الذاكرة عندما تباغتها حوادث مفجعة او غير منتظرة . حدَّث تيودور ريبو في ابحاثه عن امراض الذاكرة ان انسانًا فاجأه قطار وهو سائر بين الاسلاك الحديدية لا يبالي . فلما ادركه القطار رمى بنفسه الى الارض ممتدًا بين الاسلاك فمرَّت عليه جميع عربات القطار دون ان تمسَّه بأذى غير انه وهو في تلك الحالة من شدة الرعب ومنتهى الخوف تمثلت له في عقله جميع حوادث حياته بسائر تفاصيلها ودقائقها

ومثل هذا يتفق كثيراً للغرقى ممن تداهمهم اخطار المنية .

ومن هذا القبيل ايضاً اعمال الذاكرة في الاحلام او في اثناء عوارض حمّى شديدة . فقد يتفق للمريض ان يتذكَّر في اثناء هذيانه كثيراً من الاماكن التي نسيها او بعض الاشخاص الذين حال دون مشاهدتهم زمن طويل . وهذا الامر كثير الشيوع وقد يعرض لكلٍ منا

ثم من خواص الذاكرة ايضاً طريقة العِرَافة بادمان النظر الى مرآة او قدح مترع ماءً او بلورٍ او غربال وما شاكل ذلك . فاذا أَدمن الانسان التطلُّع الى شيء من هذه الاشياء زمناً طويلاً يُجمع شعث افكاره وتذكى ذاكرته . وكثيرون من الناس تقوى بواسطة ذلك فيهم الذاكرة الى حدّ الغرابة والمعجزة . ولقد ورد في الجزء الرابع عشر من مجلة « اتعاب جمعية لندن الفسيولوجية » ان سيدة مرضت مرة فطلبت احد اطباء المدينة . ولما عادها كتب في رقعة بعض وصفات وطرائق للمعالجة وانصرف . وبعد بضع سنين طلبت هذه السيدة الرقعة المشار اليها فلم تجدها وبحثت عنها طويلاً فلم تقف لها على اثر فجزمت بانها فقدت ولم تعد تفتكر بها . ولكنها بعد حين اخذت تحدق في البلور — وكانت مغرمةً بهذه العادة عندما تريد تذكُّر بعض المنسيّات — ولم تلبث ان تراءَت لمخيّلتها الرقعة المفقودة بيدَ انها لم تستطع ان تقرأ منها شيئاً . وبعد يومين

او ثلاثة وجدت الرقعة المطلوبة دون استقصاء في درج مائدتها حيث مضى عليها لا اقلّ من اربع سنوات



كما ان الامراض والآفات تذكي الذاكرة فهي ايضاً في بعض الاحوال تضعفها او تعطلها فينسى العليل بالكلية ما جرى له من الحوادث في بعض ادوار حياته ويذكر ما جرى له قبلها او ما جرى بعدها . فقد قرأنا في الفلسفة العقلية ان قسيساً أُصيب بالسكتة فنسي الحوادث التي جرت في مدة اربع سنين من حياته وكان يذكر ما حدث قبلها وما حدث بعدها . وقد يحدث ان الانسان لا يذكر بعض الاشخاص فقط . قيل ان احد الرجال سقط من ظهر فرسه فتألم راسه فعالجه الطبيب الى ان شفي ولما اخذ الى البيت نسي ان له امرأة واولاداً ولكن بعد ثلاثة ايام عاد الى ما كان عليه قبل حدوث تلك النازلة

وروى الدكتور كربنتر ان شاباً لطم لطمةً شديدةً افقدته الشعور ثلاثة ايام متوالية ولما افاق نسي فن الموسيقى دون غيره . وذكر الدكتور بياتي ان رجلاً لطم عَلَى رأسه فنسي اللغة اليونانية ولكنه لم ينسَ غيرها مما تعلمه



وقبل ختام هذه النبذة لابد لنا من ذكر مسألة فسيولوجية

مهمة ذكرها اعضاء الجمعية الفسيولوجية في لندن وعلى الخصوص بحث عنها المستر لاخ شيرما احد اعضاء الجمعية المشار اليها ٠ فانه ذكر حادثاً عرض له وهو من أغرب الغرائب لانه فائق اطوار العادة ومنخرط في سلك الحوادث الخارقة ٠ وذلك انه كان وهو فتى معرضاً للذهول او هذيان اليقظة كغيره من الاولاد الممتازين بتيقظ المخيلة ٠ وفي اثناء هذيانه هذا كثيراً ما كان يتراءى له مكانان مجهولان لم يطأهما قط الا انه لما كبر زار اتفاقاً هذين المكانين وعرفهما للحال ٠ وقد حقق لاخ شيرما انه قبل زيارته لهذين المكانين لم يسمع عنهما شيئاً ولم يرَ لهما صورة او رمزاً ٠ بيد ان في احدهما قضت والدته زمن حداثتها وفي الاخر عاش اجداده ٠ ومن هنا استنتج العضو المذكور ان بعض الصور الذهنية منذ زمن مديد قد تحيا وتتمثل ليس فقط في ذاكرة الاشخاص الذين حدثت لهم بل وفي ذاكرة نسلهم ايضاً واذا كان ذلك صواباً جاز حينئذٍ ان يتفق للمريض في حالة هذيانه ان ينطق بكلمات وعبارات من لغة يجهلها ولكن اجداده كانوا يحسنون استعمالها او ان يقص بعض حوادث من حياتهم يجهلها كل الجهل ٠ اما لاخ شيرما فيقول ان حوادث كهذه غاية في الغرابة ولكنها تتفق لبعض الناس لان لنواميس الوراثة اليوم دوراً مهماً وأثراً عظيماً ليس فقط في الشوءون البدنية بل وفي الشوءون النفسانية ايضاً ٠ فكثيراً ما تورث

العوائد والاميال وما شاكل ذلك من المشاعر والمزايا العقلية والادبية والله اعلم

بين الشهامة والحب

(رواية واقعية)

« ... وما العمل ايها الصديق وقد احببتها حباً عذرياً مبرّحاً وفتحت منذ سنة عهد ودادنا بيدي بل بقلبي فكيف تسألني ان اسلوها وامحو ذكرها من صدري

سأموت لكن لا تموت محبتي   هل للهوى يا عاشقين قبورُ

« آه ايها الصديق . لقد فضح الدمع سرّي ونمت عليَّ العبرات مذ ضرّم الشوق انفاسي واستوقد الوجد ضلوعي . وقد شاهدتني في هذه المدة الاخيرة خلافاً للعادة محباً للوحدة والانفراد اهيم على وجهي بين الحقول والرياض ابثها شوقي واشجاني واناجيها فتناجيني وقد قرأت في عينيّ سراً كبيراً اخفيه بين جوانحي وسمعت من تنهداتي زفرات حارة متقطعة ورأيتني كاسفاً مقطباً وقد بدل الابتسام الذي كان لا يفارق شفتيّ بالوجوم الدائم »

وكنا قد وصلنا الى منعطف طريق في الروض ومن حولنا الاعشاب والازهار الجميلة والمياه الصافية البلورية تتكسر على حصباء كالدر . فاستوقفني وقد اسند راسه الى كتفي وواصل

حديثه بقوله « تعذرني ايها الصديق الحميم اذا ازعجتك بحديثي الشجي وعبراتي المتساقطة · تعذرني اذا اثرتُ اشجانك وانت لم تخرج الى هنا الا لتسرّي عن النفس ألم الوحشة وتنفس عنك الكرب فلم يسعني الا ان افيض بحديث الفوءاد واكشف لك مكنونات هذا القلب الخفاق · وقد بادهتني بالسوءال في ساعة الالم والانفعال · فلكم سامرتُ النجوم والقمر وطارحت شوقي الدراري والدرر ولكن هل لكل هذه الاشياء من معاني الحياة ما تدرك به اسرار الحياة ؟ ·· »

ثم رفع راسه ببطء كأن الهموم اثقلته وقال : « منذ سنة فقط ادركت مغزى الحياة الحقيقية — حياة الاجتماع · منذ سنة فتحتُ قلبي لاشعة الحب الجميلة الطاهرة · فاخذت ابني الامال الطوال في المستقبل الجميل اذ انني كما تعهدني ميال لفلسفة الاجتماع ارى فيه السعادة التامة اذا كان رائده الحب الصحيح وكنت اعد نفسي سعيداً واخشى مع ذلك ان تزول هذه السعادة ولكن كنت حالاً احاول الابتعاد عن هذا الفكر الموءلم لئلا انغص حبي الشريف · منذ سنة تعرّفت بالحبيبة فمال اليها القلب وهامت بها النفس ولا سيما حينما شعرتُ بتبادل الحب بيننا · و كل من رآني في ذلك الوقت السعيد كان لا يجدني الا باسم الثغر ونور البشر يلمع في وجهي · كنتُ ارى بيني وبين حبيبتي مناسبة تامة ومشاكلة في الاخلاق

مما دعا الى توثيق عرى الحب والوئام . لم اكن لأحتاج الى تصريح بل كنتُ أكتفي باشارة من عينيها او ابتسامة من شفتيها معتمداً عَلَى شهادة قلبي . ولا أذكر اننا اعترفنا بحبنا صريحاً الاَّ مرة واحدة فقط لداعٍ موجب (في ٢٧ اذار) فكان اعترافنا عبارة عن عهد لا يزول . ومن عادة المحبين ان يتخذوا لهم من احاديثهم منبئاً عن عواطفهم وصورة لحبهم فيحولونها من صفتها المجردة الى تلك الصورة اللطيفة بامتزاجها مع حديث الافئدة . . ولا اكتمك اني شعرت بتغيُّر كلي وادركت تأثير الحب الحقيقي في تدميث الاخلاق وتليين الطباع فكان حبي يزداد رسوخاً وثباتاً . وفي كل يوم كنتُ اوافي الحبيب بدليل جديد لتأكيد العهود . وفي كل تلك السنة الناضرة بالحب لم اشعر بعناء الوحدة وثقل الهموم . فكنتُ اذا ثارت بي الاشجان او انهكتني يد الزمان ازور حبيبتي وافاوضها بحديث الفؤاد فأشعر للحال بان كل تلك الاحمال الثقيلة قد هبطت عن عاتقي وصغرت المصائب في عيني وشعرت بلذة الخلود في الحب . واذا خرجت من هناك اخال نفسي قد خرجت من فراديس الجنان وروض السعادة والحياة . . . — لهذه النفس ولهذا القلب نصيب وافر من وقتكم الثمين ايها البشر فلا تبخسوهما حقهما . فالشباب ربيع الحياة والحب ورد هذا الربيع والطهارة والثبات عرفه الذكي وشذاه العاطر . . . كثيرون ايها الرفيق نوَّهوا بهذا الحب الشريف ومجدوه ولكن

كثيرين ايضاً اسقطوه من عرش كرامته وجلاله لفساد اخلاقهم وحطة آدابهم وسفالة مقاصدهم فحولوه الى الدعارة والخلاعة. على ان هذا الحب الفاسد حالاً يذبل... اما حبنا فقد كان طاهراً شريفاً وما الذّ ما كانت اجتماعاتنا واحاديثنا وخصوصاً عند ما كنا نتبادل الاراء في الاداب والاخلاق ونأتي على ذكر اختلاف الاذواق. وكان ذلك يزيدني وثوقاً بمنفعة هذه الاجتماعات اللذيذة وفائدة هذا الحب النقي الخالص. وعلى ذكر الفراق كانت تندفع احياناً من صدرنا زفرة حارة تعقبها دمعة سخينة فنتلقاها بالسكوت والوجوم تأثراً وانفعالاً ولكن كان ذلك سحابة صيف حالاً تنقشع فنعود الى احاديثنا المطربة... وهكذا املأ الحب افكاري وجسم امالي فاسترسلت في حب هذا الوجود وغاليت في الاندفاع الى جهاد عنيف لاظهر بالمظهر اللائق امام الحبيب. ولكن من كانت بضاعته الادب وصناعته القلم فقلما يصيب النجاح او يدرك المرام في هذه الديار واذا كان رقيق الشعور والاحساس سريع التأثر يتألم لاقل حادث فحياته عناء في شقاء وقد قال الشاعر

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

«في الحب كما في غيره هناء وشقاء وقد انقضى من حبنا دور الهناء القصير الاجل ووافى دور الشقاء مدى الحياة. فانا أحمل في قلبي جرحاً بليغاً وعبثاً احاول السلوّ لان الضربة كانت قاضية.. اواه

اني الى ذاك اليوم لم اصادف في طريقي عقبةً او اشواكاً حتى انتهيت الى ذاك اليوم واذا بي كأني امام جبل لا يُرتقى فنكصت عَلَى الاعقاب بالخيبة والفشل . الى ذاك اليوم كنتُ وحبيبتي نسير يداً بيد وجنباً الى جنب في رياض الحب والوداد نتعاطى كؤوس الهناء ونتبادل عهود الوفاء ونتناغى بحديث الولاء . . وفي ذاك اليوم . . آه في ذاك اليوم المشؤوم اختطفت من يدي واختطفت معها السعادة . . ومذ علمت بعقد خطبتها لغيري بنى اليأس في قلبي قباباً لان ما بنيته في سنة هُدم في لحظة واحدة فهمت انا الحزين على وجهي شريداً في هذه الرياض والآكام اناجي الطبيعة وابثها بعض ما بي من لواعج الحب وآلام البعاد

يادهر قف لحرام ان تطير بنا   من قبل ان نتملى من امانينا
و يازمان الصبا دعنا عَلَى مهلٍ   نلتذُّ بالحب في أحلى ليالينا

. . . لا تلمني بحقك ايها الصديق اذا رأيت دموعي تتساقط ولا تعذلني عَلَى حزني العميق فانك تعهد بي الثبات والاخلاص وخصوصاً فيما كان من جهة القلب . ولكن آه ياليتني لم اذق تلك السعادة الوقتية ولم احتمل هذا العذاب الدائم والسعير المحرق بل ياليتني لم اتعرّف بها ولم اعرفها قط . . . »

ثم زفر زفرة تقطع لها نياط قلبي وانفطرت لها مرارتي فاخذتُ اهوّن عليه واحاول تسرية همه وغمه ولكني كنت كنافخ في

في رماد. ثم عاد الى الحديث والحديث ذو شجون فقال: «وبقدر ما كان حبي ثابتاً كان طاهراً وشريفاً ولذلك ناجتني النفس وحرَّضني القلب ان لا اسلو ولست بمن يسلو. فلم اشأ الا ان تبقي لي على الاقل" محلاً في فؤادها لا يتنازع مع واجباتها وامانتها. واذ لم يعد يحق لي منذ اليوم ان أعود الى مفاتحتها بالحب القديم اردت ان اعلم ما هو رأيها بعقد عهد اخوي وحب ابدي بيننا ذكراً خالداً لمحبتنا القديمة الطاهرة ورسماً عزيزاً لايام الاجتماع العذبة في ظل الوداد فبادرت حالاً وكتبت اليها ما يأتي:

«حديث قلب لقلب»

«كتبته في ظلام الوحدة فاقرئيه في سكون الانفراد»

عزيزتي الاخت المحبوبة ماري

لا يسع هذا القلب الحساس الرقيق الشعور الا ان يناغيك بلغة الفؤاد الصادقة مهنئاً وقد وافاه نبأ خطبتك الميمونة فاهنئك وخطيبك وادعو لكما بالتوفيق والهناء ولقد بلغني الخبر فجأة فلم اشعر الا وقلبي يخفق خفقاناً شديداً وهو لا يريد ان يصدق الخبر (عفواً) وقد تنازعه عاملان قويان عامل التأثر لحرمانه منذ اليوم من مناجاتك بمكنوناته في حياتك الجديدة كما كان يبثك سابقاً اشواقه ومحبته الصادقة ومودته المخلصة الثابتة. وعامل الفرح يدفعه اليه اخلاصه بحبه الشريف مؤثراً لك المسرة والسعادة ولو احتمل في سبيل ذلك

الم الفراق المرولوءة الانفصال" الابدي . لعلي كنت مخدوعاً او مغشوشاً اذ كنت اخال ان حبنا متبادل وعواطفنا متفقة واني لالوم نفسي واحسبني ابله اذا كنت لا اشعر بما يدل من ظواهرك على الفتور ومن اليوم اخذت اشك بصدق قولهم (من القلب الى القلب دليل)ومع ذلك لا يريد قلبي الا ان اكون مخطئاً بشكي وارتيابي هذا . . على ان هذا الخبر الذي كان ضربة قاضية على سعادتي مع) انه هدم امالي الحلوة واماني العذبة لم يستطع ان يمحو اثر ذكرك من صفحاته وقلبي ذاته اليوم يسأل لك السعادة في حياتك المقبلة مع قرينك السعيد اما انا فاتمثل بقول الشاعر

هكذا شاءني الخالق ان اكونا   متعساً شقياً كئيباً حزينا

. . وقد تشاهدين اثر هذا الالم على شفتي" لانهما فقدتا ابتسامتهما العادية وتقرئين في عيني" ظلام افكاري ولعلك تسمعين اوتشعرين بنبضات قلبي المتواترة تأثراً وانفعالاً . لو كنت ممن شانهم التقلب في كل حالة او كان حبي غير شريف لكان السلو اسرع الى قلبي ولكن هيهات لان من طبعي في الحب الصدق والثبات . . لكِ ايتها الاخت (هكذا احب ان ادعوكِ مذ اليوم) ان تحسبي اليوم جرأتي في هذا الكتاب ذنباً وتطاولاً واقراري الصريح ضعفاً وسفاهةً اما انا فحسبي اعتقادي باني بعملي اجبت داعي العقل والقلب ووفقت بين الشهامة والحب . . وليس لي الان الاّ ان اقول

كلمة واحدة خارجة من صميم القلب مع زفرة عميقة من كبدٍ حرّى — آه ثم آه — يا ليتني لم اعرفك قط ولم اتعرف بشخصك الكريم ولم اذق هذا العذاب الاليم . ولكن لا ثمّ لا اذ من شروط الاخلاص في الوداد تحمل مضض الفراق وآلام البعاد . . . واذا منعتنا الظروف عن ذاك الحب فهل تمنعنا يا ترى عن تبادل الحب الاخوي الخالص في منتهى الثبات والطهارة؟ . . هذا كان حديث قلبي بعدان شعر بالضربة القوية . هذا كان حديثه في ذهوله العميق . ولهذه الغاية اخط هذه الاسطر بمداد الفوءاد لاطلع عَلَى افكارك من هذا القبيل وتأكدي بانه اذا خاب ايضاً في هذه المرة تخيبته هذه تسبب له جرحاً بالغاً فوق جرحه السابق لا تمحو اثره الايام والاعوام . . لم تعد الايام تسمح لنا بالاجتماع واللقاء ولا يطاوعني قلبي السلو والنسيان فماذا يمنعنا ان نكون اخوين نتبادل العواطف الاخوية والرسائل الودية اينما كنا؟ . ولعمري انه لاسهل وأيسر عَلَى المخلص ان يتنازل عن هذا الوجود ولا يتنازل عن حب نما في فوءاده واشغل لبه وجرى في عروقه مجرى دمه وروحه . . فأقترح عليك اذاً ان تطلعيني عَلَى افكارك بهذا الخصوص كتابةً — هل تحبين ان نجتمع اجتماعاً خاصاً للتعاهد عَلَى الاخاء تعاهداً ابدياً ام ان ذلك لا يهمك بل ترغبين قطع كل علاقة؟ ارجو بحق الاخلاص ان تسرعي بالجواب كتابةً وان تبدي فكرك بملء الحرية فاني بالانتظار عَلَى احر من النار . . يناجيني

ضميري انك ملِلت وضجرت وحقك ان تضجري من حديث (فوضوي) لا ترين لهُ معنىً وان كنتُ اعرب فيه عن معانٍ شتى وتأوهات عميقة. وارجوك ان تعذريني لِما بدر مني من كلمات التأثر اذ كان من الواجب ان أقتصر على التهنئة والدعاء ولكن للقلب ثورة عواطف واهواء تدير القلم كيف تشاء والكريم مَن عذر.. اني اعدّ سكوتك عن خطابي وامتناعك عن الجواب اشارة من طرف خفي الى رغبتك بانحجابي لانني أمسيتُ ضيفاً ثقيلاً. وانك تودين قطع حبال المودة (آه كم يؤلمني هذا الفكر). واذا كان هذا عزمك فلا اقلّ من كلمة وداع فاودعك وأدعو لك بالهناء وارجوك فقط ان تبقي محلاً صغيراً في فؤادك لمن ملأ ذكرك قلبه مَن يناديك اخته شئت او لم تشائي «اخوك سليم»

«.. وقد زرتها في اليوم الثاني مهنئاً ولكنني كنتُ مطرقاً كاسفاً خلافاً لعادتي ولعلها لاحظت عليّ ذلك. وعندما خرجت لتشيعني الى الباب قلتُ لها وصدري يكاد يتفتت «أهكذا قُضي الامر؟» فاجابت «هكذا شاء الباري» فقلت نعم هي مشيئة الله ثم ناولتها الرسالة وودعتها وانصرفت... ولعلك تظن ايها الصديق بعد وقوفك علَى سرائري ان اليأس بلغ مني حتى كرهت الحياة. نعم ان الدنيا قد اسودَّت في عينيَّ ولكن نفسي اكبر من ان تتدهور الى هوة القنوط وتستسلم الى لجة اليأس فأحاول ان اقنع قلبي بهذا الحب

الاخوي ما دام لا امل لي بغيره · وقد اطلعت من التحرير عَلَى افكاري وعلمت اني مقدم على ضحية طاهرة وعظيمة· اني سأضحي الحب على مذبح الشهامة ولكن ستكون هذه الضحية مكلَّلة بإكليل الاخآء والوفاء وسيبقى ذكرها محفوراً عَلَى شغاف القلب ابد الدهر ···»

فقلت له — قد ادهشتني ايها الصاحب · وكان النهار قد اذن بالرحيل فودعته عَلَى امل اللقاء والاستفهام عما يتم له من الحوادث وسرت وانا اردّد في نفسي حديثه معجباً بهذا الحب الطاهر

وبعد اسبوعين صادفته هائماً بين الرياض يناجيها على عادته باسرار الفوءاد ولم ينتبه الا عندما وصلت اليه وأَلقيت يدي عَلَى كتفه وناديته باسمه· فذعر وانتفض كمن افاق من غشيته وقال — مرحباً بك ايها الصديق وكأني اقرأ في عينيك حب الاطلاع عما تمَّ لي فاسمع : لقد سبق السيف العذل وأمضيت الحكم عَلَى نفسي بيدي وآليت ان اسير كما وعدتُ في رسالتي فأنقطع عن زيارة الحبيبة بغير إشعارٍ او جواب منها وهكذا كان · عَلَى اني لم اكن لاستطيع حمل هذا الجفاء المرّ دفعةً واحدةً بعد تلك الضربة القاضية · وَمن ينبئني ما الذي دعاها الى هذا السكوت ? ولو لم يُقدّر لي اني اجتمعت بها في احد البيوت فدعتني مع اهلها الى زيارتها لاضطررتُ الى شرب هذا الكأس الى الثمالة فعدتُ الى

سابق عادتي من زيارتها ولكن لأزيد آلامي وأشجاني . وقد قنعنا كلانا بهذا الحب الاخوي الطاهر بعد ان عاندتنا الايام ووقفت ارادة الاهل في طريق امانينا الحلوة سداً منيعاً . اجل اننا قنعنا بهذا الحب الاخوي اما انا فالبرغم عني واما هي فلا ادري والان وقد علمت كل شيء يجب ان اوضح لك كل افكاري بهذا الامر الخطير ختاماً لهذه المأساة وحينئذٍ اما ان تعذلني وتلومني او تعذرني وتعجب لامري وعلى كل فلك رأيك الموفق . . اني قد احببتها نعم احببتها ولن انساها ولن اسلوها ولو سلت هي الوداد وبادلتني بالصد والجفاء . احببتها حباً طاهراً وثابتاً وسيبقى حبي طاهراً وثابتاً . واني لافادي بكل عزيز في سبيل هذا الحب . . ثارت الاقدار فنسفت آمالي (ولا اعلم هل اقول آمالها ايضاً ؟) ولكنها لم تزعزع حبي . ولو علم الناس بحقيقة حبنا لمهدوا لنا السبيل وفتحوا امامنا الطريق لنصل الى روض السعادة آمنين . ولكن آه . . وما اكثر وأحرّ ما يتصاعد من هذا الصدر من الزفرات . . . ان الكثيرين يحسبون الافصاح عن الحب عاراً والاقرار به شناراً وهو أقدس عاطفة وأعمّ رابطة في الوجود . انني أُجبرتُ لتقديم هذه الضحية عملاً بشريعة هذا الوجود الجائرة فحوّلتُ حبي الى اخاء . ولكن اثر هذا الجرح العميق لن يزول وكيفما أجلتُ بصري في هذه الحادثة لا ارى الا ألماً وجراحاً . اريد من الحبيبة ان تشعر لشعوري وتتحقق

صدقي لان هذا من مقتضيات التبادل في الحب الصادق · ولكن لا اريد لها ذلك ايضاً لانه يوءلمها وكل شيء يوءلم الحبيب يوءلمني · واذا كان لا بدَّ من انفصالنا وانفصام عرى آمالنا فاني أتمنى لها السعادة مع زوجها بكل ما في الحب من معاني السعادة وأشاء ان تكون جميع حياتها نعيماً وهناء مقيماً · اما انا فيكفيني ان تبقي لي محلاً صغيراً في قلبها وتذكرني في ايام صفوها وانشراحها · واذا لم تكن سعيدة فاني اندب حظي والوم نفسي لاني وقفت في طريق سعادتها ··· ان حبي هو اصل بلائي لانه يضطرني الى استطلاع حقيقة احوالها · واشاء ان أعلم هذه الحقيقة كيفما كانت · ولكني لا اريد الا ان تكون سعيدة وان تتاكد اخلاصي فعساها تحفظ لي ذكراً جميلاً و ياليتها فقط تلمح لي بارادتها ان نكون معاً الى يوم الحمام لاني استعذب الموت في سبيل الوصول الى هذه الامنية ··· ومنذ اليوم الى ان يبني هذا الطائر المسكين عشاً بدل عشه الذي سلبوه اياه · منذ اليوم الى ذاك الوقت سيعيش شريداً شقياً منسياً وستكون الضحية عظيمة لانها من القلب ولعلها تكون ابدية ··· هذه ايها الصديق قصتي نظمتها على بحر العواطف الآلام وجعلت قوافيها الدموع ونغمتها البكاء والرثاء · وسترددها الارواح الهائمة في هذا الفضاء فان البشر قليلاً ما يدركون هذه الشواعر الرقيقة لانهم يملأون اجوافهم وادمغتهم من كوءوس المادة الثقيلة و يضحكون من الاخلاص و يهزأون بالصدق والثبات ورحم

الله المحبين الاشقياء (العباس)

الجيش العثماني

من العادة المتبعة في الجيوش الاوربية ان تظهر كل سنة لوائح خاصة متضمنة بيان قوة الجيش واحواله وذخائره ليكون الناس على بينة مما يحدث كل سنة من التنظيمات المستحدثة. اما عندنا فقد كانت هذه الحقائق والدقائق مكتومة بل مدفونة في قبور الدفاتر ومخزونة في صدور رجال الحرب لسبب لا نعلمه مما حرم جميع اخواننا العثمانيين من الوقوف على قوة جيشهم ومكانته الحربية . فقياماً بالواجب الوطني نتقدم اليهم ببعض معلومات مختصرة بهذا الشأن

١ — قوة الجيش وتقسيماته

ان قانون التجنيد المسنون سنة ١٣٠٢ يقضي على كل مسلم أكمل سن العشرين الانخراط في سلك الجندية ما عدا اهل العاصمة وبعضاً من ولاية اشقودره وجزائر البحر الابيض وجزيرة العرب وطرابلس الغرب وجبل لبنان بتمامهم فانهم معفون من الخدمة العسكرية وعلى هذا المبدأ فان المسلمين المكلفين بهذه الخدمة هم خمسة عشر مليونا من مجموع الاهالي المسلمين الذين يربي عددهم على

خمسة وعشرين مليونًا من النفوس . اما الافراد الذين تصيبهم الخدمة العسكرية فيبلغ عددهم السنوي مئة واربعين الفًا . وباعتبار ان هذه الخدمة عشرون عامًا كاملاً يجب ان تكون قوة الجيش العثماني

٢٨٠٠٠٠٠

يخرج منها ٣٠٠٠٠٠ وهم المعلولون والشاردون لكل سنة

٣٠٠٠٠٠ الذين ليس لهم من يقوم مقامهم والمتروكون للسنة التالية

٢٠٠٠٠٠ معدل الذين يموتون بآجالهم المحتومة في اثناء ٢٠ سنة

٣٠٢٠٠٠ شهداء الحروب الاخيرة

فيكون لدينا الآن جيش عرمرم لا يقل عن ١٨٠٠٠٠٠ جندي وهو عشرة امثال جيش امارة بلغاريا وثلاثة اضعاف جيوش حكومات البلقان الصغرى

ويقسم الجيش الى ستة فيالق وفرقتين مستقلتين . وكل فيلق يضم فرقتين نظاميتين (موظفة) واربع فرق رديفية (احتياطية) و ١٤٠ طابور (اورطه) رديف من الصنف الثاني و ٣٢ طابورًا مستحفظًا . وجميع هؤلاء مشاة ما عدا الفيلق السادس اذ ليس لديه الطوابير الاخيرة . ولكل فيلق فرقتا خيالة ومدفعية وطابور مهندسين وبلوك تلغراف وطابور نقلية . وعلاوة على ذلك ففي كل من الفيلقين الثاني والرابع

فرقتان نظامية اخرى وآلاي مدفعية من طراز او بوس ولواء مشاة والاي مدفعية من السريعة الانطلاق واربعة آلايات رديف خيالة . وفي الفيلق الرابع وحده ٦٤ آلاياً من الفرسان الحميدية . وفي الفيلق الثاني وحده ايضاً فرقتان ولواء واحد . وفي الثالث سبع فِرَق ولواء واحد من رديف الصنف الثاني . وكل فرقة من الفرق النظامية تتألف من طابور رماة واحد (نشانجي) ولوائين . وكل لواء يحوي الايين . وكل الاي يجمع اربعة طوابير قوام كل طابور في حال الحرب ١١٦٥ جندياً ما عدا الفيلقين الرابع والسادس فان قوام كل طابور من طوابيرهما لا يزيد عن ٨٦٥ جندياً . اما الفِرَق الرديفية فينقصها طوابير الرماة ولذلك يكون قِوام الفرق النظامية ١٧ طابوراً والرديفية ١٦ وعلَى هذا الوجه يكون عدد جند المشاة بعد ضم طوابير رديف الصنف الثاني والمستحفظ باعتبار ٦٠٠ جندي من كل طابور من هولاء علَى ما يأتي :

طوابير	
٣٢٠	نظامية (الموظفة)
٣٠	نشانجي (الرماة)
١٦	اوجي (الصياد)
٤	زخاف (الحرس السلطاني)
٤	اطفائية

٣٨٤ رديف الصنف الاول

٦٠٠ رديف الصنف الثاني

١٩٢ مستحفظ

١٥٤٠

فاذا حسبنا عدد كل هذه الفرق العسكرية ظهر لنا ان مجموع جنود المشاة في جيشنا ١٣٥٠٠٠

وكل فرقة خيالة موظفة تتألف من ثلاثة الوية وكل لواء من آلايين وكل آلاي من خمسة بلوكات . اما آلايات الخيالة الرديفية فبلوكاتها اربعة فقط . وعليه فيكون عدد بلوكات الخيالة كما يلي :

٢٠٥ بلوكات موظفة

٦٤ بلوكاً رديفياً

٦٤ الاياً حميدياً (غير ان هذه الالايات لا يُستفاد منها كلها بل من ثلاثين فقط)

وقوام كل بلوك في حالة الحرب ١٢٠ فارساً . وآلايات الحميدية تتراوح بين ٥٠٠و٦٠٠ فارس . فيكون عدد قوة الخيالة ٣٠٠٠٠ فارس

وكل فرقة من المدفعية تتشكل من ثلاثة الوية ايضاً وكل لواء من آلايين وكل آلاي من طابورين وكل طابور من ثلاثة

بلوكات . وتقسم الى ثلاثة اصناف : خيالة ومشاة وجبلية ومجموعها ٢٨٨ بطارية و١٧٨٢ مدفعاً . منها :

١٩٣	بطارية مشاة
١٨	« خيالة
٤٨	« جبلية
١٢	« من طراز اوبوس السريع الانطلاق . ولكل

بطارية ١٢ جندياً . وغير هولاء يوجد :

بلوكات

١٤٥	مدفعية القلاع
٣٠	للاستحكامات
٥	للتلغراف

طوابير

٤	للسكك الحديدية
٧	للنقليات

آلايات

٤	للصنائع (بزيادة خمسة بلوكات)

ولدى كل آلاي موظف بلوك موسيقى . اما المستشفيات السيّارة فلم تحدث بعد . ولكن يوجد لدى كل فيلق مستشفيات عديدة وكافية . وبالاجمال فان مجموع قوات الجيش في حال الحرب

هو كما يأتي :

١٣٥٠٠٠٠	المشاة
٣٠٠٠٠	الخيالة
٢٦٠٠٠	المدفعية
١٥٠٠٠	مدفعية القلاع
٨٠٠٠	الجنود الفنية
٢٠٠٠	جنود النقلية
١٤٣١٠٠٠	

هذه هي القوة العسكرية الصحيحة في دولتنا العلية وبالطبع لا يتسنى جمع هذه القوات كلها في زمن واحد . وفي الجزء القادم من هذه المجلة نذكر طريقة تعبئة الجيش عند مسيس الحاجة

(عن التركية)　　　عبد الله مخلص



شموس الهوى

من شموسٍ تبين في النافذاتِ　　تتجلى فتنثني غائباتِ
وتجلي الانوار منها الينا　　كتجلي الضياء عن مرآةِ
ولقد مسنَ وانعطفنَ دلالاً　　كغصونٍ من الهوى مائسات
وتدلتِ علَى الظهور فروعٌ　　يا لها من اراقم لاسعات
هوي القلب ظبية ذات غنج　　وسناء وربـة الظبيات

صار كل الجمال بين يديها   وهي منه تجودُ للغانيات
وغدا القلب في هواها صريعاً   وغريقاً في ابحر الظلمات
من جفونٍ تريش فيه سهاماً   نصرةً للنواظرِ القاصرات
وخدودٍ سالت عليها دموعٌ   سبقتها في سيلها عبراتي
جاءني الحب ليلةً فرآني   سابحاً في آياته المشكلات
قال لي كيف والهوى قلت صبٌّ   سيد العاشقين والعاشقات
عاشقٌ صادق اديبٌ عفيفٌ   كامل في آدابه والصفات
واذا قبلت الحبيب يصير الثـ   ـغر مني روحي من القبلات
فنصيبي من الحياة حبيبٌ   ونصيب الحبيب مني حياتي

...

صاح هذا الزمان وقت ابتسام   خلِّ عنك العويل والزفراتِ
فقليلٌ من الزمان كثيرٌ   ان مضى بالاحزان والحسرات
واذا المرءُ لم يعش بسرورٍ   وسلامٍ وصحةٍ للممات
فحرام بان يعيش ويبقى   تحت حكم الاوجاع والعاهات

بولس شحاده



﴿ مُلح ﴾

سئل احدهم — لماذا يحب الرجال البنات الصغار ؟ فاجاب لأنهن سيصرنَ نساء

وسئل آخر — اذا كان الانسان غير معدود رأس حمار ولا ذيله فماذا يكون ؟ فاجاب يكون حماراً بلا اول ولا آخر

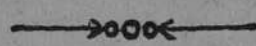
وسئل آخر — ماذا يشبه نصف البدر ؟ فاجاب نصفه الاخر

وسئل آخر — لماذا يحب الولد القطط الصغيرة ؟ فاجاب لانه لم يَرَها من قبل

وسئل اخر — اي يوم كان اسعد ايامك ؟ فاجاب يوم تزوجتُ . وسئل عن انحس يوم فقال يوم وُلدت

وسئل أخر — لماذا ينبعث من فم هذا الرجل رائحة كريهة ؟ فاجاب لان قلبه في فمه

وسئل اخر — لماذا ابتعدتَ عن العالم واثرتَ الوحدة والعزلة؟ فاجاب لاني أَلِفتُ عيوبي الخاصة ولا أريد النظر الى عيوب الغير فحسبي النظر في عيوبي واصلاحها



﴿ آثار ادبية ﴾

روءيا كمال بك — عنوان رسالة لطيفة للمرحوم كمال بك الشهير معربة بقلم الاديب طنوس افندي قعوار تصفحناها فاذا هي جليلة الوضع جزيلة النفع بالرغم عن صغر حجمها فنثني على معربها جميل الثناء ونحضّ الادباء وارباب المطالعات علَى اقتنائها . وهي تُطلب من مكتبة التوفيق في بيروت

فقال سرج للوطيس — من يشيعك هذه الليلة ؟ فتقدم باكن وابتدرها قائلاً — ربما تخولينى هذا الشرف ايتها السيدة

فاجابت — هيا بنا

فدنا باكن من رفيقيه وهمس اليهما قائلاً — اسبقاني فسآتي بعدكما . ثم سار مع لوطيس الى منزلها . اما رفيقاه فدهشا واضطربا ولما صارا خارج المنزل قال ماكس — انه كل دقيقة يعرّض حياته للخطر . فاجابه اكسيل — ما العمل وقد أقسمنا له علَى الخضوع وليس لنا ان نحول دون مرامه في شيء . ثم انطلقا في سبيلهما



الفصل الثاني والاربعون

﴿ احوال شتى ﴾

مضى علَى هذه الحوادث مدة من الزمان وقد انتهى فصل الربيع وأَقبل الصيف والحكومة لاتزال قلقة مضطربة والامة خائفة مذعورة لانها كانت تقرأ في الجرائد من وقت الى آخر ان الحرب علَى الابواب ولهذا السبب سنت الحكومة ضرائب جديدة كادت تجعل في البلاد ثورةً عامة

وكانت الجمعية الاشتراكية تزداد في العاصمة انتشاراً ونفوذاً

بحيث أصبحت مقاليد الاهلين في يدها تديرهم كيفما تشاء

وكان سرج طورد ينتهز كل فرصة فيخطب في الناس الخطب الحماسية ويعدهم بقرب انفراج هذه الازمة الشديدة والامة تزداد حباً واعتباراً له وتود ان تسير تحت لوائه ولو الى النار· وكان باكن لرواً ملازماً له في سائر اجراءاته وحركاته وقد أحبه سرج وسائر اعضاء الجمعية لِما ظهر منه من الهمة والتفاني في الخدمة والغيرة علَى مبادىء الجمعية ولكنهم كانوا يخشون عليه ان تناله الحكومة باذية لانه أُخذ بالجاسوسية

وقدشاع في تلك الاثناء ان الملك حضر اجتماع الوزراء ولم يوافق علَى قرارهم· وانه يريد خير رعيته وخدمة بلاده غير ان وزراءه يحاولون حبسه في قصره ومنعه عن المداخلة في الاحكام· وان كارلوس بيروس يجتمع كثيراً ببعض كهنة الجزويت فلعله يريد ان يتفق معهم علَى جرائم جديدة· وان ولي العهد آخذ في تجهيز نفسه لسياحة بعيدة في يخته الخاص· وقد تسبب عن هذا الخبر الفجائي بعض اللغط واخذ الناس يتقوّلون بما شاءوا والجرائد تفرض لذلك اسباباً كثيرة· اما السبب الحقيقي فلم يكن يعلمه الاَّ الملك والملكة وولي العهد والطبيب هنري· وكان الملك كثيراً ما يختلي بالطبيب ويتداولان في قضية زواج ولي العهد بغلوريا وهو يريد ان يبطل هذا الزواج ويفصل بين الحبيبين· وقد وافقته الملكة علَى ذلك

بقولها — ان الكنيسة لا تعتبر هذا الزواج قانونياً والامة لا ترضى ان يقترن ولي عهدها بفتاة خاملة النسب و يمزج دمه الملوكي الشريف بدم هذه الفلاحة الساذجة وعندي ان تبادر الى تزويجه باحدى بنات الملوك او الامراء الكبار و بذلك يُفسخ كل عهد

وبعد مداولات كثيرة في هذا الشأن أَجمع الرأي عَلَى ان يسافر الطبيب هنري الى الجزائر و يقنع غلوريا بالحضور الى القصر بطريقة سريَّة لئلا يشيع هذا الامر وتكثر التخرُّصات المختلفة . فلم يلبث الطبيب ان ركب يخت الملك وسار مسرعاً الى الجزائر قياماً بهذه المهمة وهو لا يعلم كيف يفاتح رونسار وربيبتهُ بهذا الخبر و كيف يكون وقعهُ عليهما . وقد خشي ان ينسباه الى الخيانة لانهُ لم يكشف لهما قبلاً ان زوج غلوريا انما هو ولي العهد

الفصل الثالث والاربعون

﴿ هنري ورونسار ﴾

ولما وصل اليخت الى الجزائر نزل الطبيب وسار توّاً الى منزل رونسار . وما كاد يبلغه حتى استقبله رونسار وعلامات الكمد بادية عَلَى وجهه . فحيّاه هنري وسأله عن سبب غيظه وهو لا يظنه مطلعاً على الخبر . فقال له رونسار — اننا لم نرك ايها الطبيب منذ زمان فهل أَتيتَ الان لترى نتيجة المصائب والاحزان التي سببها

لنا ولي العهد ؟

فذعر هنري وقال — فاذاً انت مطلع على كل شيء !

قال — نعم ولو لم يكن زوج غلوريا رجلاً شريفاً كهذا لخطفت روحه ولكنه انسان اكثر مما هو برنس ولذلك أبقيت عليه اكراماً لها

فقال هنري وهو يمسح العرق المتحلب من جبينه — انت فيلسوف يارونسار فاسمح لي ان اخاطبك كفيلسوف لان ما جرى فقد جرى ولا يُرد الفائت

قال — هو ما تقول وليس لنا ان نعاند القدر ولعل هذا كان انتقاماً مني عما أجريته فيما مضى من الزمن فقد قتلت بيدي ملكاً والان عند شيخوختي قام ابن ملك آخر ينتقم مني نخدع أعز شخص لدي

قال — اما انا فاؤكد لك ان البرنس غومفري لايخدع احداً لانه حر شريف فلن يرجع عن كلامه وعهوده

قال — ليس ذلك في استطاعته لانه لا يقدر ان يعلن زواجه بغلوريا لانها ليست من سلالة الملوك فسينبذها نبذ النواة و يقترن بامرأة اخرى اقتراناً اثيماً تحلله الشريعة الكاذبة

قال — لاتقنط يارونسار فقد تكون النتيجة غير ما تتصور فغلوريا لن تكون تعسة

قال — هي الان سعيدة مسرورة ولو أخبرتني انها تمسة لما تأخرت عن الفتك بغومفري في الحال

قال — ولكن اذا قتلته تقتلها ايضاً لا محالة لانها تحبه حباً فائقاً . وكيف اطلعتَ انتَ علَى هذا السرّ ؟

قال — منذ بضعة ايام جاءَ الى هنا غومفري وذهب مع غلوريا الى بعض اطراف الجزيرة يتنزهان وبعد حصة من الزمن رجعت غلوريا وحدها وقصت عليّ هذا الحديث الجديد فلما سمعته كدتُ اجنّ

قال — وهل كانت غلوريا آنئذٍ حزينة ؟

قال — كلا لانها لم تتصور ما ينتظرها من البلايا والاحزان ولما رأتني مضطرباً وسمعتني اشتمه وألعنه اغتاظت وقالت «اني لا أسمح لك بشتم زوجي فلا تضطرب ولا تنسب اليه صفة رديئة لانه مثال المروءة وآية الكمال» فلما سمعتُ ذلك منها تحققتُ اني فقدتها الابد ولكني سأنتقم لها منه

قال — انك لن تنتقم منه لانه لن يفعل ما يحملك على ذلك اما انك فقدت غلوريا الى الابد فهذا لانها متزوجة وهي الان تخصّ زوجها . فدع عنك كل هذه الاوهام وثق بان ربيبتك ستظل سعيدة الى ما شاء الله وستكشف لك الحوادث ما است تعلمه الان

قال — سيكون ذلك اذا حدثت اعجوبة سماوية

قال — سنرى . وقد جئتُ الان بامر الملك ادعو غلوريا الى القصر

فطار فوءاد رونسار هلعاً وقال — ولمَ ذاك ؟ وهل يريد الملك ان يكدّرها و يفزّعها ؟ كلاّ لن تذهب

قال — ان الملك والملكة يريدان ان يشاهدا عروس ابنهما لا ليكدّراها و يفزّعاها كما تسرَّعتَ في حكمك وسأردّها اليك كما آخذها وفضلاً عن ذلك فهل يُعقل ان غومفري يسمح بامتهان زوجته لو افترضنا ان ابويه ارادا امتهانها؟

فأطرق رونسار ثم قال — ليكن ما تريد بشرط ان تعدني بردّها اليّ في الحال بعد المقابلة

قال — أقسم لك علَى ذلك بشرفي فكن مطمئناً واعلم ان الملك طاهر القلب صافي السريرة عادل جداً والشعب لا يعرفه بعد فلن يعامل غلوريا الاّ بمنتهى الاكرام والمحبة . وولي عهده صورته تماماً في الاخلاق والخصال . وغلوريا فريدة بذكائها وحصافة عقلها وسمو افكارها وان من الحكمة ان تجعل قيادها بيدها لتدبر امر نفسها بنفسها فاين هي الان ؟ هيا بنا اليها

قال — اني تركتها في جنينة المنزل



الفصل الرابع والاربعون

﴿ مجد البحار ﴾

ثم سار رونسار وتبعه هنري حتى اذا وصلا الى الجنينة رأيا غلوريا جالسةً في ظل شجرة صفصاف وبيدها كتاب. فلما سمعت خطوهما رفعت عينيها فابصرتهما وقالت لهنري ووجهها طافح بالمسرة — لم أكن أنتظرك ايها الاستاذ لاني بعد تلك المقابلة لم اعد اراك فحسبتك دالَمقتنا بتاتاً فاهلاً وسهلاً بك الان

ولما قالت هذا مدت يدها فدنا منها هنري واخذ تلك اليد البيضاء وقبلها معجباً وهو يقول في نفسه (ان جميع حركاتها ملوكية محضة وليس لولي العهد ان يجد مثلها بين بنات الملوك) ثم قال لها — لم آت قبل الان الى هنا لاني لم أعلم انكِ مطلعة علَى كل شيء

قالت — ولكن زوجي الحبيب قد كشف لي القناع عن هذه الاسرار وانا الان مسرورة لان غومفري ولئن كان برنساً فهو فريد بصفاته الحسناء وخصاله الشريفة

فدنا منها رونسار وقبلها في جبينها وقال — وهل تعرفين يامجد البحار ان الملك يدعوكِ الى القصر ؟

قالت — واي عجب في ذلك؟ فهو يريد ان يتعرف بكنته فسأذهب الى القصر ولو كان في امكاني الرفض لان زوجي لم يأمرني بذلك غير ان ذهابي برفقة الاستاذ هنري يضمن لي رضى غومفري العزيز

فتهلل وجه هنري وقال — أُقسم بشرفي انك تفوقين سائر اميرات العالم وخليق بغومفري ان يتخلى عن ابهة الملك وعرش السيادة في سبيل الحصول عليك . فهيا بنا ياسيدتي الى العاصمة

قالت — انتظرني هنا قليلاً ريثما اذهب فأرتدي ثيابي واعود

ثم عدت الى المنزل وبقي رونسار وهنري واقفين ينتظرانها فقال رونسار — لايمكن ان تكون نتيجة هذه المقابلة مما ترضى به نفس غلوريا فإما ان يعترف البرنس غومفري بانها زوجته الشرعية وبذلك يخسر كل حق في العرش وإما ان يرغموه الى الاقتران بغيرها من بنات ذوي التيجان فتكون حينئذٍ لا زوجة ولا ارملة . وهذا ما اخشاه ولكن . . .

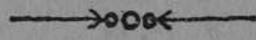
فقال هنري — اما انا فارى ان البرنس غومفري لن يرضى بغيرها زوجة له ولو حُرم العرش وكل فخامة الملك

وكانت غلوريا في اثناء ذلك قد خرجت اليهما وهي بثوب ابيض بسيط وغدائرها الذهبية مدلاة على كتفيها فدنت من هنري وقالت وهي تتبسم — ليس عندي من الثياب ما يليق بمقابلة الملوك غير ان زوجي يفضل مثل هذا الثوب البسيط على كل الحلل الملوكية فهيا بنا ايها الاستاذ . ثم تقدمت الى رونسار فعانقته وقالت — لا تضطرب يا ابي العزيز فلا البث ان اعود اليك منتصرةً ظافرة ان شاء الله

وقال له هنري — سنعود مساء الى هنا وربما يكون معنا غومفري نفسه فلا تقنط

فانحدرت من مقلتي الشيخ دمعتان حارّتان وقال — اذهبي ياولدي بحراسة الله

ولم يكن الاّ القليل حتى ركب هنري وغلوريا اليخت فسار بهما يمخر عباب البحر عائداً الى العاصمة



الفصل الخامس والاربعون
﴿ المقابلة ﴾

ولما بلغ الطبيب هنري ورفيقته القصر دخلا غرفة الانتظار ولم يكن فيها احد فقال هنري — اجلسي هنا يا سيدتي ريثما أذهب وأُعلن للملك قدومك ولا ألبث ان اعود. فجلست غلوريا وهي تتأمل مفروشات الغرفة ونقوشها. وبعد نحو نصف ساعة عاد هنري فدنا منها وقبّل يدها وقال — هيا بنا لان الملك والملكة يدعوانك للمقابلة. فقامت وسارت بصحبته في دهاليز القصر حتى اذا وصلا ردهة الاستقبال خاصة الملكة وقف هنري فتنفّس الصعداء ثم دخل ودخلت غلوريا وراءه فرأت ردهة جميلة مزينة بالرسوم والمناظر البديعة والازهار والرياش الفاخر. وكان في صدرها شخصان احدهما الملكة جالسة وعليها حلة موشاة بالذهب، والآخر الملك واقف

بازائها في بذلة حربية . فلما صارت غلوريا في وسط الردهة وقفت ونظرت اولاً الى الملكة ثم الى الملك وقالت برباطة جأش — لقد ارسلتم ورائي فهاءنذا

فتبسم الملك وهو يتأمل هذه المحاسن البديعة ثم قال لهنري — قل لهذه الفتاة ان تركع امام الملكة

فدنا هنري من غلوريا وهمس اليها ماذا يجب ان تفعل . فتقدمت الى الملكة وجثت امامها وقالت ايتها الملكة قد أُمرتُ ان أركع امامكِ فأنا أفعل ذلك ليس لانكِ ملكة بل لانكِ والدة زوجي . ثم اخذت يدها الباردة كالجليد فقبلتها ونهضت وهي تنظر اليها والى الملك نظرات ثابتة جريئة . ولما رأتهما صامتين قالت لهما — ارجو ان تخبراني بصراحة ماذا تطلبان مني

فدهش الملك لهذه الجرأة الغريبة وقال — اعلمي يا غلوريا رونسار باننا قد تعطفنا باستدعائك الى هنا على امل اصلاح الشر الذي سبَّبه لكِ ولدنا وولي عهدنا عن جهلٍ وتهورٍ . فقد أُخبرنا ان بينكما علائق صبيانية وانه احبكِ متنكراً وخدعكِ واقترن بكِ اقتراناً غير شرعي . اما انتِ فلحداثة سنكِ اعتقدتِ بصحة كل ما جرى واعتبرتِ نفسك زوجة شرعية له . مع ان ذلك وهمٌ وضلال لانه يستحيل على مَن كان مثلكِ ان تصير زوجةً لولي عهد المملكة وليس في شريعة بلادنا ما يسوّغ مثل هذا القران

وفي شريعة الكنيسة ما ينقضه لانكِ لستِ من سلالة الملوك .
ولما كنا لا نريد ان تكوني حزينة وتعسة فلذلك نحن مستعدون ان نجريَ لكِ ما تشائين تكفيراً عما اصابكِ من الحزن

فنظرت غلوريا اليه بعينين ولا عيون المهى ثم تبسمت ولم تحر جواباً

فذهل الملك لانه كان ينتظر ان يراها باكية متذللة فقال — ماذا تقولين علَى ذلك ؟

قالت — وماذا ينتظر ان يقول من كان مثلي في حضرة الملك ؟ فعلى الملك ان يتكلم وعلينا ان نسمع

فقالت الملكة — لعلها لم تفهم كلامك لانك تخاطبها بلغة عالية يصعب عليها فهمها

فنظرت اليها غلوريا بازدراء وقالت — انتِ واهمة ياحضرة الملكة فانا قد فهمتُ كل شيء . فهمت اني حسب شريعة الله زوجة ابنكِ وحسب شريعة الناس لستُ زوجة احد ولكنني أُفضل شريعة الله

فذهلت الملكة لانها لم تكن تتوقع ان تسمع مثل هذا الكلام من مثل هذه المخلوقة . ولكنها نسبت ذلك الى بساطتها فنهضت عن كرسيها وأشارت اليها بيدها ان تدنو منها . فتظاهرت غلوريا بانها لم تفهم الاشارة . فقالت الملكة — اقتربي اليَّ ولا تخافي

فتبسمت غلوريا وقالت — ثقي ياحضرة الملكة باني لم اخف احداً طول عمري وهاءنذا بين يديك فتكلمي ماشئت

فارتعشت الملكة لدى سماعها ذلك وقالت — انت لا تخافين شيئاً لانك لم تفهمي الحالة التي ساقك اليها القدر فاعلمي بان غومفري نظراً لكونه ولي عهد المملكة مرتبط بشرائع وقوانين لا تسوّغ له الاقتران الا بمن كانت في درجته من بنات الملوك فهو وامثاله من ابناء الملوك يقدرون ان يحبوا من شاءوا ولكنهم لايقدرون ان يتزوجوا الا بمقتضى السنة المعروفة . ولذا فتلك المحبة التي تزعمين انها تربطكما لن تطول بينكما لانه لابد له اخيراً من الزواج الرسمي

فقالت لها غلوريا — لو علمت ايتها الملكة تلك العهود الوثيقة التي ارتبط بها قلبانا لما نطقت بهذا الكلام . ثم التفتت الى الملك وقالت برباطة جاش — ألتمس منك ياحضرة الملك ان تخبرني بصراحة عن رغبتك في استدعائي الى هذا المكان

فنظر الملك اليها وهو لا يكاد يصدّق عينيه وقال — أطلب منك ان تتنازلي عن سائر حقوق زواجك بولي العهد وتعديني بانك ستجتهدين ان لاتشاهديه ولاتكاتبيه بعد الان وان تفعلي كل ذلك حباً بمصلحة الامة وخيرها

فلما سمعت غلوريا ذلك احتدمت وصعد الدم الى وجهها

فألقت عَلَى الملك نظراً حاداً وقالت — حباً بمصلحة الامة ؟ وماذا تعرف جلالتك عن الامة ما دمت لا تراها لانك لاهٍ عنها بالصيد والملاهي الاخرى معتمداً في تدبيرها عَلَى بعض الوزراء ورجال السياسة الذين لا يهمهم من امرها الا التضييق عليها واستنزاف دمائها لاجل مصالحهم الذاتية .. ولو كان في امكاني ان ارفع عن الامة ثقل الضرائب فقط لما تأخرتُ عن تضحية نفسي في هذا السبيل . ولو كنتُ انا الملكة فهل تزعم جلالتك اني ارضى بالجلوس عَلَى العرش المرصع وارتداء الملابس الموشاة ما دام في مملكتي واحد من الجياع او المحاويج الذين ليس لهم ما يبتاعون به قوت نهارهم ؟؟ كلا . بل كنتُ حالاً بادرتُ الى اسعافهم بكل جهدي فبعتُ كل حلاي وجواهري وسرتُ حافية القدمين بشرط ان ارفع الشقاء عن رعيتي وأكون بلسماً حقيقياً وما كنتَ رأيتَ علي ثوباً الا وقد حاكتهُ ايدي عملة بلادي وليس غيرهم من الاجانب .. هذه هي مصلحة الامة اذا كنتَ تريد خدمتها .. هذا بعض ما يجب عليك ان تفعل ايها الملك لاجل مصلحة الامة لا ان تسعى في التفريق بين القلوب المتحابة والنفوس الممتزجة ببعضها

ثم تنفست طويلاً وعادت الى الكلام فقالت — اما الان فانا زوجة ابنك . وهو يحبني وقد عُقد قراننا حسب الشريعة .

انت تريد ان انفي ذلك وارفضه · غير اني لن اتمم بغيتك · اما اذا كان هو يريد ان يرفضني و يفسخ عقد قراننا فما عليه الا ان يعلن ذلك بنفسه امامك وامام والدته · وحينئذٍ تراني قد خرجتُ من هنا راضيةً وغير متأسفة علَى شيء · و بما اني الان زوجته الشرعية فلا يمكنني ان أعِد شيئاً بدون الوقوف على رضاه فهو زوجي وعليَّ طاعتهُ فقط · واعلم يا حضرة الملك باني لا أسعى ورآء المجد العالي او الرتب السامية والغنى الجزيل لان لديَّ الحب فهو قد خالط كل قطرة من دمي وكل نسمة من انفاسي فلم يبقَ فيه موضعاً لما تسمونه مجداً وسوءدداً



الفصل السادس والاربعون

الحجة القوية

وما كادت غلوريا تفرغ من كلامها والملك والملكة شاخصان اليها يسمعان و يتعجبان حتى فتح باب الردهة ودخل منه البرنس غومفري ولوائح الاضطراب والحيرة بادية علَى وجهه فانحنى لوالديه ودنا من غلوريا فقبلها في جبينها وقال للملك ارجوك يامولاي بعد فراغك من محادثة زوجتي ان لا تدعها تخرج من هنا قبل ان احادثها

فقال له الملك — ان هذه الفتاة غريبة في اخلاقها ولا عجب

لانها لم تعاشر الا الصيادين وقد كنت أعتقد انها علَى جانب من الادراك والتعقل ولكنها لم تحقق رجائي سوى انها موافقة علَى اعتبار زواجك بها منقوضاً اذا كنت انت تريد ذلك فلي ملء الثقة اذاً بانك انت ايضاً توافق علَى فسخه فقل ذلك امامنا ودعنا ننسى هذه الحادثة المؤلمة

فتبسم البرنس غومفري وقال — ان قوات الارض باسرها لو اجتمعت لاتقدر ان تقطع روابط المحبة والعهود التي ارتبطتُ بها مع غلور يا فأنا قد فرَّغت فؤادي من كل عاطفة الا الحب لزوجتي ويأبى الله ان أخونها واذا كان قراننا في نظر الملوك غير شرعي فهل للبابا ان ينقضه ؟ كلا لا يستطيع ذلك لان (ما ازوجه الله لا يفرقه انسان) أفهذا حديث خرافة ام هو عهد مقدس ؟

فنظر اليه الملك وقد تقطب وجهه وبدت عليه امائر الغضب وقال — لا فائدة من مجادلتك ومباحثتك في هذا الشان لان افكارك صبيانية محضة . وما لا ننال باللطف فسنناله بالقوة

فقالت غلوريا — لديَّ ايضاً شيء اقولهُ لجلالتك ايها الملك واظنه يرضيك ويرضي الملكة

فنظر اليها الملك والملكة بملء الاستغراب ووقفا ينتظران كلامها بكل اصغاء . فقالت لهما — انتما تعتقدان باني من اصل دنيء فكيف يجوز لكما ان تزعما هكذا وانتما لا تعلمان عني شيئاً بل انا ايضاً لا اعرف

شيئاً عن نفسي فقدا كون برنسة ومن سلالة الملوك غير ان التقادير ابت الاّ
ان يبقى ذلك في عالم الغيب .. انتما تزعمان اني جاهلة وغير متمدنة
لاقامتي بين الصيادين ولهذا فلستُ اهلاً ان اكون زوجة لابنكما
ولكنكما لو فحصتما معارفي لاتضح لكما اني ارفع من كل برنسة وملكة
غير انكما لم تهتما بشيء من هذا القبيل لانكما لا تعرفان قِيم الناس
الحقيقية . انتما غير ملومين بهذه الافكار لان اكثر الملوك والعظماء
علَى هذه الصورة وقد قرأت كثيراً من القصص والحوادث عن الملوك
القساة الظلمة الذين لا يهتمون بشوءون الخلق ولا يميلون الى
الاداب الحقيقية فلم ارَ بينهم الاّ اسماء قليلين من اهل التعقل
والحكمة الذي احبّوا شعبهم وعضدوا العلوم والمعارف وقاموا
بواجب وظيفتهم حق القيام . وهذه الاسباب جعلتني ان امقت
الملوك والامراء والعظماء لان اغلبهم يسيرون في طرق الشر والرذيلة .
واعظم مصيبة انقضت عليَّ في حياتي هي معرفتي بان الشخص الذي
احببتهُ الى درجة العبادة هو ابن ملك فلو كان بسيطاً وفقيراً كما
اعتبرته حينما اقترنتُ به لعشنا سعيدين الى الابد . غير ان الفائت
لا يردّ . فانا الان زوجة ابن ملك . فعليّ ان اسعى في سبيل
راحته وسعادته لان حالته شاقة . ولما كان الحب قد ربطنا رباطاً
وثيقاً فلا تقدر قوة بشرية ان تحل هذا الرباط . انتما تريدان
ان تزوّجاه بامرأةٍ غيري وترغماه ان يرتكب اثماً فظيعاً « حباً